اللغة العربية في وسائل الاتصال الإلكتروني

د. عبد العزيز بن عثمان التويجري
مدير عام المنظمة الإسلامية للتربية
والعلوم والثقافة - إيسيسكو -
-المملكة العربية السعودية-

إذا كانت اللغة كائنًا حيًّا، تخضع للعوامل المؤثرة سلبًا وإيجابًا، ضعفًا وقوةً، صعودًا وهبوطًا، التي تخضع لها الكائنات الحية، فإنه يسري على اللغة ما يسري على كل كائن حيّ من قوانين الطبيعة التي هي سنة الله في خلقه. فاللغة، كما قال ابن جني في (باب القول في اللغة وما هي) من كتابه (الخصائص)، (أما حددها فإنها أصوات يعبر بها كلُّ قوم عن أغراضهم)[1]، وهو تعبير واقعي دقيق وتوصيف موضوعي عميق، لأنها (منظومة مؤلفة من أصوات منطوقة ومكتوبة، مترابطة وفقًا لقواعد بناية في سبيل تحقيق الاتصال الفكري والعاطفي بين الناطقين بها)[2] . وفي هذا السياق يقول الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه (دلالة الألفاظ): « الألفاظ لا تعدو في حقيقتها أن تكون بمثابة الرموز على الدلالات، كل لفظ للتعبير عن أي معنى من المعاني، فما يسمى بالشجرة يمكن أن يسمى بأي لفظ آخر متى

1- أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، المكتبة العلمية، القاهرة، 1952م.
2- الدكتور فتحي إبراهيم خضر، في حوار معه نشر يوم 25 نوفمبر 2014م، في (منتدى مجمع اللغة العربية بفلسطين) على الشبكة العالمية

اصطلح الناس عليه، وتواضعوا على استعماله»[1] وفي ذلك تقاربُ بين مقولة العالم اللغوي القديم وبين ما ذهب إليه العالم اللغوي المعاصر.

فاللغة إذن، كما هي نتاج بيئتها، فأهلها هم الذين يصنعون ألفاظها، فهي بذلك تتطور كما هي تتدهور، وتعلو في درجات القوة، كما هي تهبط إلى درجات الضعف، تبعًا لمستويات النهوض والتعافي والتقدم، أو النكوص والتأخر التي يعيشها أهل اللغة، أو يكون عليها الناطقون بها، وإنْ لم يكونوا من أهلها.

فلا تنفصل اللغة عن حضانتها الاجتماعية وبيئتها الفكرية ومحيطها العام الذي تنتشر فيه. ولا تشذّ عن هذه القاعد لغة من اللغات؛ لأن الرقيّ في الحياة لا يتجزأ، فلا تبلغ اللغة درجة الرقيّ إلا إذا نمت وترعرعت في مجتمعات راقية بلغت مستوى عاليًا من التمدن والحضارة. ولا تنحدر اللغة وتضعف بنيتها ويهت نسيجُها، إلا إذا سرى الضعف في كيان المجتمع، وانطفأت شعلة الإبداع في مجالات العلوم والمعارف والفنون والآداب، وفي ميادين الصناعة والزراعة والتجارة. فالقوة التي تكتسبها اللغة تأتي من قوة المجتمع، وضعفُها ينبع من ضعفه. فالمجتمع هو الذي يعلو باللغة أو ينحدر بها. فلا تتجدد اللغة وتتطور بعوامل ذاتية فقط، ولكنها تتجدّد وتعلو أيضًا عندما يتطور المجتمع ويتقدم في ميادين الحياة كافة.

وإذا كانت اللغة العربية قد عرفت في عصور متعاقبة، أطوارًا من التجديد وَاكَبَت بها المتغيّرات التي عرفتها البيئات العربية في المشرق

1- د. إبراهيم أنيس، (دلالة الألفاظ)، نقلا عن د. عبد الصبور شاهين، العربية لغة العلوم والتقنية دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الثاتية 1986

والمغرب، حتى في المراحل الصعبة التي مرَّت بها الأمة العربية الإسلامية، فإن ما وصلت إليه من امتلاكٍ لشروط القوة الذاتية والتميز والغنى في التراكيب والمفردات في عصرنا الحاضر، لا يجد له داعمًا وراعيًا في عدد من الدول العربية، يمكّن له في مجالات الحياة المختلفة بحيث تصبح اللغة العربية لغة السياسة والإدارة والعلم والاقتصاد والتعليم في مراحله ومجالاته كافة.

ولما كانت حياة اللغة وحافظها الذاتي على مقوّمات البقاء، يعكسان صحة كيانها وسلامة بنيانها وصلابة مناعتها، فبهذه المقومات تغلبت لغة الضاد على المؤثرات السلبية وعوامل التهميش والاختراق والغزو، واجتازت الموانع التي كانت تعترض سبيلها نحو الذيوع والانتشار، حتى وجدنا اللغة العربية في هذا العصر، تعرف توسعًا لا ينتهي عند حد، يصل إلى أصقاع الأرض جميعًا بدون حدود. لدرجة أن اللغة العربية لم تعرف انتشارًا في العالم وامتدادًا في الأرض كما تعرفهما في عصرنا هذا. وهذا الانتشار الذي تحققه اللغة العربية، سببه الأول كونها لغة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والتراث الفكري الإسلامي الضخم. ولهذا يقبل المسلمون في جميع أنحاء العالم على تعلمها كلّ حسب قدرته وفي ضوء الظروف المتاحة له، رغم ضعف أهل اللغة أنفسهم وذهاب ريحهم.

فبينما تنتشر اللغة العربية في أقطار الأرض، وتُعتمد لغةً عالميةً، وتصدر اليونسكو قرارها بتحديد اليوم الثامن عشر من شهر ديسمبر كل سنة، يومًا عالميًا للغة العربية، تعيش أمتنا العربية مراحل حرجة، وتواجه تحديات عنيفة من كل صوب، وتشهد صراعاتٍ محتدمة، وأزماتٍ تكاد أن تكون مزمنة، وتعاني أشدّ المعاناة، من قلاقل وفتن ومشكلات تضعف

من قدراتها وتنهك قواها. فيتراجع من جراء ذلك كله، دورها في ميادين السياسة الدولية.

وعلى تعدّد المجالات الحيوية التي يتعزز فيها الحضورُ المؤثر والفاعل للغة العربية في هذا العصر، فإن المجال الإعلامي على تنوع فضاءاته، يشهد تدفقًا واسعًا وامتدادًا متصاعدًا للغة الضاد. ولما كانت تقانات الإعلام تعرف تطورًا مطردًا، جعل الإعلام الالكتروني يَتَجَاوَزُ الإعلام التقليدي بمسافات شديدة البعد، بحيث يمكن القول، حسب ما تكشفه الدراسات المتخصصة للخبراء الإعلاميين من حقائق مذهلة، إن مجال الإعلام الإلكتروني أصبح أكثر اتساعًا وأعمق توفقًا وأجمل رشاقةً، بسبب ما أصبح بين أيدينا من وسائل التبليغ والعرض، وبصفة عامة تقديم خدمات متنوعة، وفي الوقت نفسه، مخاطبة جماهير متعددة بلغات متعددة، كل جمهور يتلقى الرسالة بلغته، مع القدرة على إغناء تلك الخدمات بمعطيات وشروح مستمدة من أمهات المصادر الغنية، والمحمَّلة بأهم ما أنتجته المعرفة الإنسانية على مر العصور، من خلال معلومات مرقمة[1] .

لقد جعلت الطفرة الإعلامية الهائلة في وسائل الاتصال الالكتروني من العالم قرية صغيرة، بحيث تبدَّل الافتراضُ إلى الحقيقة من وجوه كثيرة، وأصبحت الأبواب مفتوحة أمام مَن يريد التزوّد بالمعرفة في شتى الحقول وبدون استثناء، فصارت المعرفة متاحةً للجميع وبين يدي من يدخل إلى الفضاء الافتراضي. وهذا تطور عظيم القيمة، له بالغ التأثير في الحياة الإنسانية، ولربما سيكون له انعكاسات أقوى وأشدّ تأثيرا في المستقبل القريب على البشرية.

1- محمد العربي المساري، إعلام بديل أم صيغة جديدة للإعلام؟ مداخلة له في الدورة الثالثة عشر لـ (مؤتمر فكر)، الصخيرات، المملكة المغربية، ديسمبر 2014م

وفي هذا المجال أصبح للغة العربية حضور ملحوظ في الفضاء الافتراضي. ولكن إن كان له امتدادٌ من حيث الكم، فهو ليس له الامتداد نفسُه من حيث الكيف. فالارتفاع في عدد الزائرين للمواقع العربية على الشبكة العالمية، وفي كثرة هذه المواقع وتنوع اتجاهاتها وأهدافها ومستوياتها، وفي حجم المكتنزات الثقافية والفكرية والأدبية والعلمية والتراثية من المراجع المخزنة في الفضاء الافتراضي القابلة للتحميل، أي متاحة لمن يشاء وفي متناوله للنقل والتخزين والتسجيل والاسترجاع. كل ذلك لا يدل على أن لغة الضاد التي يمتلئ بها هذا الفضاء اللامحدود، هي في حال من القوة والمتانة والصحة. فالعربية معروضةٌ في الفضاء بقدر محدود، في واقع الأمر، بالمقارنة مع الوضع الذي عليه لغات أخرى، خصوصًا اللغات الثلاث الرئيسية التي تتصدَّر قائمة اللغات الرائجة في وسائل الاتصال الإلكتروني، وهي الإنجليزية، والصينية، والإسبانية.

ولا يمكن أن ننكر المستوى غير اللائق باللغة العربية الذي تتبوأه في العالم الواقعي وفي الفضاء الافتراضي. ولا بد من أن يكون في هذا الاعتراف ما يحفزنا لبذل الجهد وإفراغ الوسع للارتقاء بالمستوى العام للغة الضاد من جميع الوجوه.

وبالنظر إلى ترتيب اللغات في العالم على شبكة الانترنت، نجد أن اللغة الانجليزية تحتل المرتبة الأولى على الصعيد العالمي. وفي ذلك دليل على أهمية هذه اللغة التي أصبحت تفرض نفسها بشكل كبير في ميادين عدة. إلاَّ أن ما يثير الانتباه ويتوجب الوقوف عنده، هو موقع اللغة العربية التي احتلت الرتبة الرابعة من بين اللغات المستخدمة على شبكة الانترنت، كما يبينه الرسم البياني التالي:

وحرصًا على مزيد من التوضيح، نشير إلى أن الإحصاءات العامة في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا (اللذين يتشكل منهما العالم العربي)، تؤكد على ما يلي:

- يجري يوميًا أكثر من 100 مليون بحث باللغة العربية على محرك جوجل (النسخة العربية) مقابل 4 مليارات بحث في جميع أنحاء العالم بمختلف اللغات.

- يتم إنشاء أكثر من 36.000 حساب جديد « للفيسبوك» كل يوم.

- يتم عرض أكثر من 100 مليون مقطع فيديو على يوتيوب كل يوم.

- يتم 13 ٪ من عمليات البحث باللغة العربية من خلال الأجهزة النقالة، مع توقعات تشير إلى أن هذه النسبة قد تصل إلى 30 ٪ في عام 2017

- يقوم 45.9 مليون من مستخدمي الانترنت في الدول العربية بأبحاث على محرك البحث جوجل باللغة العربية، إضافة إلى 9 ملايين من خارج منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، والتي هي غالبًا من الجاليات العربية[1]

ويمكن القول إجمالاً وفي ظل هذه البيانات، إن بناء المحتوى الرقمي العربي بات ضرورة ملحة وأهمية قصوى من أجل مجاراة لغات العالم وتعزيز مفهوم المنافسة الثقافية والمرجعيات الفكرية واللسانية، انطلاقًا من عالم الانترنت. مما يدفعنا إلى طرح سؤال حول الأساس الذي يقوم عليه المحتوى العربي الرقمي. وحول مدى حضور اللغة العربية على شبكة الأنترنت.

1 - من تقرير حول (حضور اللغة العربية على شبكة الأنترنت)، من إنجاز ياسر فهمي صلاح مدير عام شركة (خبراء الرباط، 2014م، - المملكة المغربية.B2P EXPERT تطوير خطط الأعمال)،

وليس من شك في أن التفوق العددي للغة العربية قد يدفع إلى مزيد من الاستثمار في المحتوى العربي على الشبكة العالمية، خاصة من قبل الشركات العالمية مثل جوجل، ياهو، ومايكروسوفت، والتي بدأت بالاهتمام بالسوق العربية منذ سنوات قليلة[1]

وهذا موضوع يندرج في اقتصاديات المعرفة سيخرج بنا عن موضوعنا إذا ما استفضنا في الحديث عنه.

ولكن لابد من القول إن المحتوى العربي على الشبكة العالمية، لا يرقى إلى مستوى التفاعل المؤثر الذي يتوقع في مثل هذه الحالة، لأنه بعبارة جامعة، محتوى يقوم على العرض فقط دون الأخذ والعطاء، ولا يقدم خدمات مفتوحة لرواد الفضاء الافتراضي، على غرار ما هو عليه الوضع بالنسبة للغات الأخرى.

إن وعاء المعرفة هو اللغة التي أصبحنا نسقيها في حياتنا اليومية من مختلف الوسائل، وأهمها شبكة الإنترنت. وكل معلومة تتشكل بلغة ما في قالب رقمي مثل الحواسيب والهواتف الذكية، يطلق عليها الخبراء اسم (المحتوى الرقمي)، فمحتوى اللغة العربية الموجود على الإنترنت يمثل مجموع المعلومات المتوفرة على الشبكة العالمية بشكل رقمي في شتى مجالات المعرفة والحياة. ولذلك فإن أهمية المحتوى في أي لغة يعود بفوائد جمة على أهلها، كالفوائد الاقتصادية من المحتوى المتعلق بالتجارة الإلكترونية، وفوائد ثقافية من وجود محتوى ثقافي وتراثي، وفوائد إدارية وخدماتية من محتوى الإلكترونية.وهكذا دواليك[2]

1- www.blafrancia.comموقع بلا فرنسية

2- الرباطB2P EXPERT

وحساب المحتوى على الانترنت يعرف بعدد الصفحات، كما أن إغناء المحتوى الرقمي لا يتم إلا بالإبداع والتجديد والابتكار، الذي يليه في الأهمية تزايد عدد زيارات الأشخاص لتلك الشبكات.

وينتشر المحتوى العربي الرقمي على الانترنت مثل جميع اللغات، وفق مجالات مختلفة، نذكر منها التي وجب تكثيف الجهود للزيادة في التعامل معها وزيادة المحتوى العربي فيها:

- التراث: كتب التراث العربي الإسلام.--

- النشر: الكتب، المجلات، الدوريات العلمية. --

- الإعلام: الإذاعات، التلفزيونات، الفضائيات. -

-العلم والتكنولوجيا: الجامعات، مراكز البحوث، الجامعات الافتراضية.--

- المكتبات: نص، صوت، صور، فيلم، كتب إلكترونية.--

- الثقافة: متاحف، بوابات الثقافة، فكر وموسيقى وأدب ورسم.-

- الأعمال: مواقع الشركات، دليل الشركات، دليل المصدرين، دليل المصنع، دليل البنوك.

- الحكومة الإلكترونية: البوابة الحكومية، مواقع الوزارات والمؤسسات العامة.

- الصحة: العيادات، المستشفيات، التطبيب عن بعد.

- منشورات المنظمات: غير الحكومية، الإقليمية، الدولية.

- السياحة: المواقع السياحية والتاريخية والطبيعية، المطاعم والفنادق والنقل.

- التسلية، ألعاب أطفال، أفلام كرتونية.

- ولتنشيط زيادة هذه المحتويات العربية الكثيرة، يتطلب الأمر مبادرات فعالة تستهدف كل مجال على حدة من هذه المجالات المذكورة.

ويمر المحتوى العربي بعدد من العمليات، بدءًا من توليده، ووصولاً إلى استثماره، ونوجز هذه العمليات كما يراها الخبراء المتخصصون، كما يلي:

- عملية توليد المحتوى الجديد: تنطلق بدايةً من الرغبة والإرادة ثم من مجموع ما ينتجه أهل اللغة على المستوى الفكري والثقافي والإبداعي والعلمي والتكنولوجي وَفق ما يتطلبه الأمر من تمويل للبحث العلمي وحرية الفكر والتعبير.

- عملية تحويل المحتوى المتوفر، حديثًا أو قديمًا، إلى شكل رقمي: هي جمع المعارف من كتب ووثائق وفنون وآثار ومعلومات، وتحويلها إلى شكل رقمي وتخزينها في حاسوب أو أقراص مدمجة، ثم وضعها ومقاسمتها على الانترنت، لأجل أن تعزز من حضور اللغة العربية في العالم الافتراضي.

- عملية تخزين المحتوى وتبويبه ومعالجته: وتساعد هذه العملية في تسهيل الوصول إلى المعلومة عن طريق برمجات منظمة يتم على إثرها تبويبُ المعلومات حتى تتوفر بسهولة إذا ما تم استعمال كلمة المفتاح أو السر (وثيقة، كتاب، بحث...الخ) .

- عملية عرض المحتوى أو طباعته: وهي عملية تتعلق بعرض أشكال الحروف العربية وإظهارها بمقاييس مناسبة ونسخها وطباعتها عبر شبكة الانترنت، سواء في الحاسوب، أو الهواتف الذكية، أو في أية تقنية تكنولوجية حديثة.

- عملية نشر المحتوى العربي: أهم ما في هذه المرحلة هو توزيع المحتوى العربي الرقمي على كل المجالات المذكورة[1]

فتلك مؤشرات، أوعلامات تبيّن المستوى الذي وصلت إليه اللغة العربية في الفضاء الافتراضي، وتوضح المجالات التي تثبت فيه حضورها، وتعرض بعض المقترحات التي يرى الخبراء في هذا المجال، أنها مفيدة، ولها صلة بتعزيز الحضور القوي للغة العربية في الفضاء الافتراضي، مما يؤدي إلى تطوير اللغة العربية والنهوض بها. وحتى لا تبقى اللغة العربية لغةً معروضةً، ساكنة غير متحركة، وليست فاعلةً ومتفاعلة مع متغيرات العصر، كما هو الشأن بالنسبة للغات الحية الست الآنفة الذكر، التي هي متحركة، ومتفاعلة، وتقدم نفسها لمن يبحث بها بسهولة ويسر. وهذا الجانب هو الذي يعكس الأحوال التي يعيش فيها أهل اللغة العربية. فالعبرة ليست في الوفرة، ولكنها في الجودة. فإذا قمنا بجولة في وسائل الاتصال الإلكتروني لقياس المحتوى العربي، سنفاجأ بظواهر تثير الاستغراب، وهي جديرة بأن تدرس لتحليلها وللوقوف على أسبابها. ولعل أول ما نكتشفه، هو أن اللغة العربية في وسائل الاتصال الإلكتروني، ليست على مستويات واحدة، وأن الضعف (تختلط فيها الركاكة مع الهشاشة أحيانًا) هو الغالب عليها، وأنها ليست بلغة متحركة ومتفاعلة وقابلة للتكيف مع المستويات اللغوية المزاحمة لها في الفضاء الافتراضي، والمتفوقة عليها بدرجات متناهية. وهذا انعكاسٌ للوضع الذي عليه اللغة العربية في الفضاء الواقعي.

إنّ حركية اللغة، أي لغة، في الفضاء الافتراضي، تتمثل في قدرتها على الأخذ والعطاء، بما أن يكون حضورها أخذًا وعطاء، تأثيراً وتأثيرًا، انفعالاً وتفاعلاً. وهذا لا يتوافر إلا للغة الحية المتجددة المسايرة للتطور والفاعلة

1- المصدر السابق

والمؤثرة في الواقع المعيش، التي تمتلك القدرات العالية للتأثير في الحياة على جميع المستويات، وفي إبداع المعرفة، وفي توظيف العلوم والابتكار في إنتاج التكنولوجيا. وهو الأمر الذي يؤكد من وجوه عديدة، ارتباط اللغة بالتنمية الشاملة المستدامة ويعزز مفهوم التنمية اللغوية الذي نقول به، ويثبت بشكل قاطع، العلاقة الوطيدة بين اللغة وبين التقدم المطرد في المجالات كافة وفي الأحوال كلها بدون استثناء، في العالم الواقعي وفي الفضاء الافتراضي، مما يُكسب هذه القاعدةَ الرسوخَ والثبات والاطراد.

وحضور اللغة العربية في الشبكة العالمية، على تفاوتٍ في مستويات هذا الحضور ومدى كونه إبداعًا وتميزًا، يثبت لنا أن هذه اللغة قادرة على مواجهة التحديات، وإثبات الذات في مختلف الواجهات، مُتجاوزةً بهذه الخاصية الفريدة التي لا أتردد في أن أسميها (خاصية الصمود الذاتي)، الواقعَ الذي يعيشه أهلها، والذي هو ليس في المستوى اللائق بالحضارة العربية الإسلامية وبعطاءاتها التي أغنت بها الحضارات الإنسانية المتعاقبة. فهذا الانتشار العربي الواسع في الفضاء الافتراضي، لا يصبُّ دائمًا، وبالقدر الكافي والمطلوب، في اتجاه إغناء اللغة العربية وتطويرها والنهوض بها على النحو الذي يُكسبها المزيد من القوة والمناعة والقدرة على العطاء. وذلك لأسباب كثيرة، أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

أولاً: ضعف مستوى اللغة العربية الرائجة في الفضاء الافتراضي، سواء على الشبكة العالمية، أو على وسائل التواصل الاجتماعي، الذي هو انعكاس للضعف الذي يسري في كيان المجتمعات العربية في الفضاء الواقعي.

ثانيًا: ضمور الإبداع في أغلب ما يبث باللغة العربية المستخدمة في الفضاء الافتراضي، لقصورٍ في القدرات التي تَتَوَافَرُ لدى المتعاملين مع الشبكة العالمية ووسائل التواصل الاجتماعي، على التطور ومسايرة المتغيّرات في عالم الفكر والثقافة والآداب والفنون، وناهيك عن ملاحقة التطوّرات في حقول العلوم والتكنولوجيا والابتكار.

ثالثًا: التعارض بين الواقع وبين الافتراض على مستوى اعتماد اللغة العربية لغةً للتواصل، بسببٍ من التباعد بين اللغة السائدة في الحياة العامة، وبين اللغة التي تستخدم في وسائل الاتصال الإلكتروني. مما ينعكس سلبًا على قدرة اللغة على التجدّد الذاتي الذي يرتقي بها.

رابعًا: اكتساح اللغات الأجنبية القوية على الشبكة العالمية للغات الأقل تأثيرًا والأضعف حضوراً، ومنها اللغة العربية، مما يحدّ من إمكانات النموّ اللغوي، أو التوليد اللغوي، تحت تأثير الهيمنة اللغوية الغالبة والكاسحة.

خامسًا: قلّة الاهتمام الذي تُوليه المؤسسات المعنية باللغة العربية (المجامع العربية، كليات الآداب، كليات اللغة العربية، مراكز البحوث الثقافية والأدبية جمعيات حماية اللغة العربية...الخ) للنهوض باللغة العربية في الفضاء الافتراضي بالقدر الذي يحقق الهدف انتشارها فضائيًا وواقعيًا.

وعلى الرغم من أن الوضع الذي توجد فيه اللغة العربية حاليًا هو كما أوضحنا، فإن هذه اللغة تملك إمكانات كثيرة لمزيد من التوسع والانتشار في وسائل الاتصال الإلكتروني، إذا ما توفرت الإرادة المصممة على تطوير اللغة العربية والنهوض بها. نوجز بعضًا منها فيما يلي:

- اللغة العربية رابع اللغات الأكثر استعمالاً في العالم.
- معدل الولوج إلى الانترنت والهاتف المحمول عالٍ جدًا.
- حضور جيد لمستخدمي الانترنت على شبكات التواصل الاجتماعي.
- ثلث سكان العالم العربي هم من المستخدمين النشيطين لوسائل الاتصال الإلكتروني.
- وجود محتوى جيّد وغنيّ وقابل لإغناء المعارف الإنسانية بلغة عربية سليمة[1]

ولكن اللغة العربية في وسائل الاتصال الإلكتروني، وعلى الرغم من كل السلبيات التي سبق الإشارة المختصرة إلى بعضها، فإنها تقدم الخدمات الثقافية، بالمفهوم الشامل والعميق للثقافة، والمعلومات عن الخدمات المؤسساتية، للجمهور الواسع من المتعاملين مع الفضاء الافتراضي، من العرب أهل اللغة، ومن الناطقين بغير العربية الذين يعرفونها ويملكون القدرات المعرفية للاستفادة بها. ولعل التطور الذي تعيشه المجتمعات العربية على عديد من المستويات، وحالة النهوض التي تعرفها اللغة العربية، سيدفعان في اتجاهٍ يتَجَاوَزُ تلك السلبيات مع مرور الزمن، لتستكمل لغة الضاد شروط القوة والمتانة والقدرة على التأثير والمزاحمة في مضمار التنافس غلى التفوق والتميّز والإبداع في الفضاء الافتراضي.

---

1 -اعتمدنا في إيراد هذه البيانات والمعلومات على المواقع التالية:

*http://www.go-gulf.ae/

*http://www.stateofdigital.com/

*http://www.stateofdigital.com/

*http://wearesocial.net/

فقد اختار الباحث المصري الدكتور نبيل عليّ مصطلح (الخائلي: VIR-TUAL) الذي يعني كل ما يحاكى الواقع أو يناظره إلى درجة يخيل لنا معها أنه واقع. ويعني به أيضًا، ما يتجاوز هذا الواقع، لكنه وعلى الرغم من تجاوزه، يؤخذ مأخذ الواقعي، ويُتعامل معه على أنه في حكم الفعل القائم. ويقول الباحث في كتابه(الثقافة العربية وعصر المعلومات): ((تعددت المصطلحات العربية المقابلة للمصطلح الإنجليزي VIRTUAL REALITY ، من الواقع الافتراضي إلى العالم الوهمي والواقع الخيالي، وكلها مصطلحاتٍ لا تعبر عن المفهوم المحوري، علاوةً على كونها جميعًا مصطلحاتٍ مركبةً صصعب الاشتقاق منها. ولذلك اخترت اسم الفاعل (خائل) كمقابل --VIR TUAL – مما يسمح باشتقاق: خائلية، خائلي، يُخيئل، مخيئل،خيألة، وخائليات. وكل ذلك مشتق من فعل (خال) المتعدي (في مثال خال السراب ماء)[1] . ولعل الباحث المصري نبيل عليّ، باجتهاده في نحث هذا المصطلح الذي انفرد به فيما يظهر، يثبت القابلية المرنة والقدرات الذاتية التي تتوفر للغة العربية، للارتقاء إلى مستويات أفضل في العالم الواقعي، وفي الفضاء الافتراضي، أو الفضاء (الخائلي) حسب تعبيره. وبذلك يتاح تحويل الخيال المغرق في الافتراض إلى الواقع المعيش. كما يمكن تطويع الواقع وفق إرادة البشر وبما يحقق مصالحهم ويفي بحاجاتهم، وتطويره والارتقاء به على جناح الخيال ذي القوة النافذة والمؤثرة، على قاعدة أن الأعمال الكبيرة والتحولات العميقة تنطلق من الفكرة التي تبدأ خيالاً يراود عقول المبدعين، وربما من خاطرة تهيمن على أدمغة المبتكرين المخترعين صناع التقدم.

1- د. نبيل عليّ، الثقافة العربية وعصر المعلومات، سلسلة كتاب (عالم المعرفة)، العدد 276، ديسمبر 2001م، الكويت.

ومما لاشك فيه أن النهوض باللغة العربية الذي يراد منه تحقيقُ النهضة اللغوية، واقعيًا وخائليًا، مرهونٌ بالتغيير في الأفكار، والمبادرات، والسياسات، والاستراتيجيات، ومناهج العمل، ووسائل التنفيذ للوصول إلى النهضة الحضارية الشاملة المستدامة. ويشمل هذا التغيير اللغة في المقام الأول.

إن الاهتمام باللغة العربية على جميع المستويات والانخراط بها في عصر المعلومات، وتعزيز مكانتها في حياة المجتمع، أساسٌ لترسيخ الهوية والارتباط بالإرث الثقافي والحضاري، وهذا لا يمنع بتاتًا تعلم اللغات الأجنبية وإتقانها والاستفادة منها في تقوية العلوم والمعارف والانفتاح على العالم.

فالعناية باللغة العربية، وتطوير إمكاناتها، وتشريع القوانين الحامية لها، لهي السبيل إلى النهوض بها في هذه المرحلة الصعبة التي تهدّد كيان الأمة الإسلامية. وكما قلت في المؤتمر الوطني للغة العربية، الذي عقد دوريته الأولى والثانية في الرباط عاصمة المملكة المغربية، في السنتين 2013و2014 م، فإن الحفاظ على اللغة العربية واجبٌ ومسؤولية ورسالة وضرورةٌ تحتّمها طبيعة المواجهة مع التحديات المختلفة التي تستهدف الهوية الوطنية من الأساس، كما تفرضها متطلبات دعم التنمية الشاملة المستدامة التي من شروطها الموضوعية سلامةُ الجبهة الداخلية، بإشاعة روح الانسجام والتناعم والتوافق والتوازن، ونشر ثقافة التعايش والحوار والاحترام المتبادل للخصوصيات الثقافية والحضارية، وقبل ذلك كله، الاحترامُ للمقتضيات القانونية الواجبة النفاذ.

والحفاظ على اللغة العربية يبدأ من المنطق الأساس، ألا وهو إيجاد الحل للمسألة اللغوية في التعليم، حتى لا تظل هذه المسألة معلقة تثير

الخلافات، وتبعث على القلق، وتعطل العملية التعليمية، وتفرغها من محتواها. على أن يتم ذلك في أجواء من التوافق والشفافية، وبروح المواطنة الحق، وبتغليب المصلحة العليا للوطن فوق كل مصلحة، ومن أجل بناء المستقبل الآمن والمزدهر الذي تسود فيه روح التسامح والتعايش والحوار بين الأجيال. فإذا اعتمدت اللغة العربية لغةً للتعليم، من رياض الأطفال والمدارس والمعاهد والثانويات إلى الكليات الجامعية، اكتسبت مزيدًا من القوة والمناعة والقدرة على الأخذ والعطاء والتفاعل مع المتغيرات، مما ينعكس بصورة تلقائية وبشكل مباشر، على مستويات اللغة العربية في وسائل الاتصال الإلكتروني، فلا تبقى لغة قاصرة عن الوفاء بالحاجات المتجددة، وعاجزة عن مسايرة التطورات المتلاحقة التي يحفل بها عالمنا اليوم.